# إنتماء المسلم.. هل هو إلى الوطن والقـــوم أم إلى العقيدة ؟

الشائع في الثقافة السلفية الوهابية أن إنتماء المسلم لدينه يغض النظر عن الوطن أو القوم ، ولذلك يروج الإخوان المسلمون في مصر لفكرة أن المسلم في بنجلاديش وباكستان أقرب للمسلم المصري من القبطي المصري .

هذه الشائعة يتبناها السلفيون أصحاب الحلم العتيد بإقامة دولة دينية ( إسلامية ) عالمية تضم كل المسلمين تحت شعار الخلافة ، – يواجهون بها الغرب الصليبي والصهيونية العالمية .هذه الشائعة ليس لها أساس في الحياة الواقعية ، كما أنها تناقض الإسلام في الوقت نفسه .

وإليكم التفاصيل .

يقلم
الشيخ الدكتور / أحمد صبحي منصور

أولا : من حيث الواقع :

المسلمون من حيث الواقع العملي ليسوا على دين واحد أو ملة واحدة ، إذ لهم أديان أرضية مختلفة يعادي بعضها بعضا.

التقسيم العملي للمسلمين الآن كالآتي :-

1 ــ أقلية كبيرة من الشيعة تناصب السنيين العداء ، والعداء بين الطرفين يتجاوز أحيانا العداء بين المسلمين والمسيحيين ، وهذا عداء ممتد ومتعمق بجذوره، تجدده ذكريات كربلاء والمذابح المستمرة التي عانتها الشيعة من متطرفي السنة خصوصا في العراق وسوريا ولبنان. والسعودية وفي مصر بسبب النفوذ الوهابي السعودي فيها .وحين يكون الشيعة في الحكم أوأغلبية ، فإنهم يضطهدون السنيين كما حدث في الخلافة الفاطمية وكما يحدث الآن في إيران .

وفي هذه الحالة لا تسأل عن إنتماء المسلم الشيعي للمسلم السني في إطار دين واحد لأنهما خصمان .

2 ــ أقلية سنية حنبلية وهابية متشددة وهي تزعم لنفسها التحدث باسم الأمة الإسلامية ، يستوي فيها الإرهابي الصريح كإبن لادن والظواهري ، أو الجناح المدني للإرهاب ممثلا في الإخوان المسلمين ، كلهم يجمعهم حلم الدولة الإسلامية الموحدة في تغافل عن الواقع .ومنهم علماء السلطة العاملون في خدمة السلطان القائم، وأولئك يوجهون عداءهم للصوفية والشيعة المسلمين يعتبرونهم مشركين ويوجبون الجهاد ضد الجميع لأنهم يعبدون الأضرحة والأوثان . وبالتالي فالحديث عن دين واحد لا أساس له من الصحة

3 ــ أقلية صوفية تؤمن بوحدة الوجود والحلول والإتحاد وتلغي الشرائع التعبدية وتعتبرها عائقا عن الوصول للحق والتحقق بالحق . وهم يعتقدون هم تلك يعتبرون أن عقيد الإسلام ( لا إله إلا الله ) هي عقيدة العوام .

4 ــ أغلبية ساحقة صوفية سنية ، أي تتعبد بالشريعة السنية في الصلاة والصوم والحج في تدين سطحي مظهري ، ولكن من خلال عقيدة صوفية لا تـرى مانعا من تقديس القبـور بدءا من الرسول صلى الله عليه وسلم إلى القبور المقدسة للشيعة ( مثل أضرحة الحسين والسيدة زينب) والقبور المقدسة للسنة ( مثل قبر الشافعي وأبي حنيفة) والأضرحة المقدسة لدى الصوفية ( السيد البدوي والشعراني وابن الفارض وأبو حسن الشاذلي وإبراهيم الدسوقي .... إلخ)

هذه الأغلبية الصامتة تخضع لكل ديكتاتور مستبد ، وإنتماؤها الحقيقي للقمة عيشها ومتطلبات حياتها ، تتحمل ظلم المستبد القائم طالما هي في السلطة لن تهتك إلى الدرجة التي تثير غضب الله .

وبالتالي لا تسأل عن الإنتماء الديني هنا .فإنتماء هذه الأغلبية لنفسها وهي أن هاجر بعض أبنائها إقتصاديا بحثا ، وهي بطبيعة الحال هجرة مؤقتة يتعرض بعضهم خلالها أحيانا لعمليات غسيل مخ ، تجعل إنتماءهم الوطني أو القومي أو الديني لعالم مفترض فقط.

## ثانيا : الإنتماء في رؤية إسلامية

ما هية الإنتماء :

1 – هو ذلك الشعور القوي الذي يجعل الإنسان يختار لحياته طريقا ويجاهد في سبيله .

الدين في معناه اللغوي يعني الطريق والسبيل والصراط ، وكل إنسان يختار لنفسه دينا أو طريقة في الحياة ، يتعامل به مع الإله الذي يؤمن به ومع الناس الذين يعايشهم، والإنتماء هو واسطة العقد في هذا التعامل .

2 – وطبقا لما جاء في القرآن الكريم فالبشر نوعان في موضوع الألوهية :

هناك من يؤمن بالله وحده لا شريك له ولا مثيل لـه ولم يلد ولم يولد ولم يكن لـه كفوا أحـد ، يؤمن باليـوم الآخر ويجعل طريقـه في الحيـاة أو سـبيله أو الصراط الذي يمشـي عليه في حياته هو طاعة الله جل وعلا في الدنيا أملا في الفوز في الآخرة. وهناك الأغلبية المطلقة من البشـر، وهي التـي تعبد ( الهوى) أي ما تهواه النفس في هذه الدنيا ، وكل الهوى لـه طريق واحد هو إرادة الحياة الدنيـا والفوز فيها بالثروة والسـلطة والجاه والتفوق والمتعة والشهوات .

وتحت بنـد الهـوى يختلفون ؛ فمنهم الملحدون ولهـم آلهتهم التي ينتمـون اليها ، ومنهم المتدينون أصحـاب الأديان الأرضية التي تسوغ وتشـرع الوصول إلى السـلطة والجاه والثروة بأي طريق ، وهنـاك من يجعل الإله الذي ينتمي اليه شـعارات يخدع بهـا الجماهير مثل القومية والوطنية وحقـوق العمال ، وغايتـه أن يصل بها إلى السـلطة والثروة كما يفعل فـي جهادهم محترفوا التدين السياسي .

ثم هنـاك الأغلبيـة الساكتة الملحوظـة وهي الضحيـة التي يتنافس على حكمها واسـتغلالها كبـار المتصارعين من أصحاب الشـعارات الدينية و الوطنيـة و القوميـة و الاجتماعية . والهوى المسـيطر على أفراد الأغلبيـة الصامتة يقتصر على مجرد ( السـتر) وتحصيل المتطلبـات البسـيطة للحياة من بيـت ورزق مضمون ، ولكـن يكون بالصبر وبالمسـتحيل للأولاد والأعيش بأمان . وفي سبيل الفوز بهذا يبذل حياته وجهاده ، وهذا هو دينه الحقيقي الذي لا يتجاوز متطلبات هذه الدنيا ، وهو حتى حين يصلي لله تعالى أو يتوسـل للأولياء والأضرحة والقبور المقدسة فإن أمنيات تنحصر .. وسائر الحاجات البسيطة .

أمـا الأخرة فلا يفكـر فيها لأنه قد تم إقناعه من خلال مذهبه الديني الأرضي بأنه سـيدخل الجنة مهما فعل ولو زنا أو سـرق ( برغم أنف أبي ذر ) فالجنة مضمونة له بشـفاعة النبي والأولياء ، أو حتـى بمجرى قوله (الشـهادتين) ، أما غيـر المضمون له فهو الرزق في هـذه الدنيا ، وهـو العكس تماما لما جاء فـي القرآن ، فالرزق مضمـون لله جل وعلا لكل الكائنات و البشـر بغض النظر عن ايمانهم أو كفرهم ، قال تعالى : (( إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ )) (ص 54) ، وقال تعالى : (( وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ)) (هود / 6 ) ، وقال تعالى : (( وَكَأَيِّن من دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ العليم )) ( العنكبوت / 60 ) ، وقال تعالى : (( وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ )) ( الأنعام / 151 ) ، وقال تعالى : (( إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا )) ولا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا )) ( الإسراء / 30 ، 31 ) أما دخول الجنة فليس مضمونا إلا من يعمل لها مؤمنا حق الايمان.

3 – موضوع الإنتماء في الإسـلام لا شـأن لـه بمـن يعبد هواه واختـار الحياة الدنيا وآثرها عن الآخرة ، هذا قد تحدد إنتماؤه في هواه في هذه الدنيـا ، وليس له إنتماء إلا لهدفه الدنيوي .

وشـر هؤلاء الناس هـو المتدين الذي يسـتخدم الدين ليصل للحكم أو يرتزق بالديـن لأنه يخـدع الناس بإسـم الله تعالى ويحترف الكذب وينشر الأكاذيب التي يقوم عليها دينـه الأرضي ليخدع بها الجماهير.

4 – موضـوع الإنتمـاء في الإسـلام مقصـور على مـن يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر ، ويعمـل من أجل رضى الله وفي سبيل مرضاته وجنته ، يسعى في الخير وفي إقـرار العدل وفي حقوق الناس ، ولا طموح لديه دون أن يسأل الناس أجرا ، وهـي وظيفة الأنبياء ومن يمشي على سنتهم وطريقهم .

5 – هـذا المؤمن الـذي يجاهد طاعة لله تعالى ورغبة في الفـوز بالآخرة ... إلى ماذا ينتمي ؟!

المؤمن الحق والقومية : هل ينتمي المؤمن الحق لقومه ؟!-

القرآن الكـريم يعترف بوجـود القومية من خـلال حديث كل نبـي مع " قومه ". فهل يعني هذا أن إنتمـاء النبي والمؤمنين إلى أقوامهم؟!....

هنا نتبع بعض الملاحظات :

1 ــ كل نبي كان يدعوا قومـه إلى الإيمان يقـول لهم :(( يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ )) ، وتكرر هذا فـي قصص الأنبياء في سور الأعراف وهود والشعراء وغيرها.

بل إن بعض الأنبياء خاطب قومـه – وهم موتى بعد هلاكهم « خاطبهم متحسـرا على ما آل إليهم مصيرهم ، قـال هود لقومه بعد هلاكهم على الكفر ( يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) (الأعراف 79) وقالها صالح لقوم ثمود بعد أن أهلكهم الله تعالى (( يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ))(الأعراف 93 ) أي هم قوم حتى بعد هلاكهم كفارا .

تسـفيههم لـه (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ) ( الأعراف 65 : 68) .فالله تعالى يصف هودا بأنه (أخو ) قـوم عاد ، وهو يخاطبهم قائلا ( يا قوم ) ويرد على إساءتهم بأنه لهم ناصح أمين .

وكان قوم النبي موسى يؤذونه ، وكان موسى عليه السلام يشكو قائلا لهم (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ) الصف ( 5) فهم قومه حتى بعد أن آذوه .

ونفـس الحال مع خـاتم الأنبيـاء وقومه المكذبين مـن قريش ، فالله تعالى يقـول لنبيه محمد وعن قومه (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) ( الزخرف 44 ) ، فالنبـي محمد وقومه مطالبون بالإيمـان بالقرآن الكـريم والعمل بـه وهم مسـاءلون مثله عن هذا يوم القيامة .

ولكن قـوم محمد عليه السـلام كذبـوا بالحـق القرآني جملة وتفصيلا ، فأمـر الله تعالى رسـوله الكريم بأن يعلـن أنه غير مسـئول عنهم (وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ) (الأنعام 66 ) فهم قومه حسب النبي ولو كذبوا بما أنزل عليه.

ولقد نزل القرآن بقصص الأنبياء والأمم السـابقة ، منها ما نزل من قبل التـوراة ومنها ما لا يرد في التـوراة مثل قصص الأنبياء العرب من العرب البائدة مثـل هود هو قوم عاد ، وصالح هم قوم ثمود وشـعيب مع مدين ، وسـبأ ، وتفاصيل تلـك القصص لم يكن لقـوم محمد أو لمحمد علـم بها فقال تعالى عنـه وعن قومه : (( تلك من أنباء الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا )) (هود 49 ) بل كانوا يجادلـون بالباطل ويصدون عن بعض القصص (الزخرف 57 ).

وحـاث النبي محمد وأمتٍ قومه ، وسـيأتي يوم القيامة شـهيدا عليهم بأنهم هجـروا القرآن (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ) : الفرقان 30 ) أي هـم قومه حتى بعد حربهم وجريا وراء سـياتي خصما لهم وهم في النـار . وتقول الآيـة التالية عنهم (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ) الفرقان 31 ) فهم أعداء النبي محمد وهم المجرمون، ولكنهم قومه !!.

4 – وعندما أصبح النبي محمد قائدا لدولة اسلامية جاءته نفس الأوامر بالاعراض عن مكائد المنافقـين : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً ) ويَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ واللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً ) ( النساء 81-63).

* كل ذلـك تفصيـل وتأكيـد وتفعيـل للقاعـدة الكليـة في الاسلام :( لا إكراه في الدين ) ، ويتناقض هذا مع شريعة الجهاد السـلفي ( بشقيه السـني والشـيعي ) ، حيث الإكراه في الدين وملاحقة المخالف فـي المذهب بالإضطهـاد ، والمعترض عليهم بحد الـردة ، وتقسـيم العالم إلى معسـكري الإيمـان والكفر، وإحتـراف القتل العشـوائي للمدنيـين حتى لـو أدى إلى قتل المسـلمين بموجب فتـاوى فقهية سـلفية تجيز قتـل ( المتترس بهم من قبل الكفار) ، بـل تشـريع قتلهم فـي سـبيل الهدف الأسـمى وهو إقامة الدولة الإسـلامية المزعومـة ، بل والأفظع ان بعض الفقهاء الأسـلاف ــ على خلاف تلك الدولة الإسـلامية المزعومة ـــ أباحوا للحاكم حق قتل ثلـث الرعية لإصلاح حال الثلثيْن ،ويجعلونـه مالكا للرعية والأرض ومن عليها ، وهي نفس الشـريعة التي طبقها الأمويون في خلافتهم ، وطبقتها وقامت بتنظيرها وتشـريعها الدولـة العباسـية وخلفاؤهـا وفقهاؤها ، وتابعهم المماليـك ثـم العثمانيـون وآخـذ بيت حميـد الدين اليمنيون ، وصـولا الى ملالي وجلاوزة ( إمارة طالبان ) الأفغانيين، ويحلم بنفس السـلطة الأخوان المسـلمون (المعتدلون ) وأخوان ابن لادن المتطرفون .

## هناك مجرم عادي يقتل ، يعرف أنه مجرم ، ويعرف الناس أنه مجرم ، وهناك مجرم يقتل الناس باسم الجهاد ويسلب أموالهم ، وينتهك أعراضهم باسم السلب والسبي مستغلا دين الله تعالى القائم على العدل والحق ، هذا المجرم يظلم الناس ويظلم رب الناس ، وهو أعدى أعداء الله تعالى

وأخيرا

الإسـلام هو السـلام مع الناس في التعامل مع الناس ، وكل إنسان مسالم هو مسـلم بغض النظر عن عقيدته ، والإسلام في التعامل مع الله تعالى هو الإستسـلام والطاعة لله تعالى ، وليس لأحد أن يتدخل فـي عقائد الآخرين بالمنع والاكراه . ومن حق كل إنسان مسـالم أن يهاجر بدينه وعقيدته وأن يمارسها كيفما شاء طالما لا يرغم أحدا في دينه .

والدولـة الإسـلامية الحقيقيـة هي التـي تضمن حريـة الدين والمعتقد والفكر والشـعائر ويقوم فيها الناس بالعدل والإحسـان ، ويقيمون فيها العدل السياسي أي الديمقراطية .

فليـس مـن وظيفـة الدولة الإسـلامية إدخـال النـاس الجنة وهدايتهم إلى الحق ، لأن تلك مسـئولية فردية . فمن اهتدى فقد اهتدى لنفسـه ومن ضل فعليها ، ولكن وظيفة الدولة الإسـلامية هي خدمة الفرد فيها وضمان حقوقه وحفظ كرامته .

وبذلك المفهوم لا توجد دولة إسـلامية في بلاد المسـلمين ، بل دول إسـتبدادية تحت شـعارات القومية أو الوطنية أو الشعارات الدينية ، وكلها شعارات لخداع الشعوب .

تؤجد الدولة الإسلامية في الغرب ، أوربا وأمريكا وكندا وإليابان ، حيـث الديمقراطيـة والعدل وحقوق الإنسـان ، ولهـذا يهاجر المسـلمون والعرب إلى الغـرب تباعا فرارا بدينهـم أو إلى طلب العيـش والحياة الحرة الكريمة ، ولا تجد أوربيـا أو أمريكيا يهاجر لبلد عربي فرارا بدينه .

أي أن الإنتمـاء الحقيقي للإنسـان هو حبث يجد حريتـه وكرامته وحقوقـه، وبهذا يتطابق الإنتماء في الإسـلام مـع الإنتماء الحق لدى الإنسـان ، بما هما للحرية والعـدل ، فأين ضاع العدل وصودرت الحريـة في الوطن ، فأرض الله واسـعة للهجرة حيث المساواة والعدل والحرية وتكافؤ الفرص.

◄◄◄◄

## القرآن الكريم يتناقض مع شريعة الجهاد السلفي (بشقيه السني والشيعي)، حيث الإكراه في الدين وملاحقة المخالف في المذهب بالاضطهاد ، والمعترض عليهم بحد الردة ، وتقسيم العالم إلى معسكري الإيمان والكفر، وإحتراف القتل العشوائي للمدنيين حتى لو أدى إلى قتل (المتترس بهم من قبل الكفار) ، بل تشريع قتلهم في سبيل الهدف الأسمى وهو إقامة الدولة الإسلامية المزعومة، والأفظع من ذلك أن بعض الفقهاء الأسلاف ــ خلال تلك الدولة الإسلامية المزعومة ــ أباحوا للحاكم حق قتل ثلث الرعية لإصلاح حال الثلثين

يأتي الفضل الواسع من الله تعالى في أرضه الواسعة .

ويقول تعالى أيضا ( قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ)(الزمر 10 ) فالفرص على المؤمـن هو التقوى في الايمان والعمل ، وله الأجر الحسن على عمله الصالح ، وأرض الله تعالى واسـعة أمام المؤمن في عمره القصير ، وما عليه سـوى الصبر ، وأجر الصابرين بدون حد أقصى .

ثالثا :- التناقض بين الإنتماء السلفي والإنتماء الإسلامي .

1 – هناك مجرم عـادي يقتل ، يعرف أنه مجرم ، ويعرف الناس أنـه مجرم ، وهنـاك مجرم يقتل الناس بإسـم الجهاد ويسـلب أموالهم ، وينتهك أعراضهم بإسم السـلب والسبي مستغلا دين الله تعالى القائم على العدل والحـق ، هذا المجـرم يظلم الناس ويظلم رب الناس ، وهو أعدى أعداء الله تعالى .

ان المذاهب الدينيـة الأرضيـة التي تنتشـر بإسـم الإسـلام هي المسـئولة عن سـوء الفهم الـذي أصبح الإسـلام فيه متهما بالتطرف والإرهاب والظلـم ، ولقد قننت تلـك المذاهب الأرضية – بشقيها السـني و الشـيعي – شـريعتها الظالمة عن طريق تحريف مصطلحات القرآن الكريم في مفاهيم الإسـلام والإيمان .... إلخ ، وتحريف شريعة الإسـلام بتأويل آيات القرآن الكريم واختراع خرافة النسـخ ( ومعناه الأثبات والكتابة ، ولكنهم جعلوا النسـخ بمعنى الإلغاء والحذف) بالاضافة إلى كتابة سـيرة للنبي وتلفيق أحاديث باسـمه، تتفق مع هـذه الأكاذيب . وقد كتبنـا كثيرا في هذا .

اسـتعمل أرباب الديـن الأرضي الإسـلام لخدمـة أغراضهم الدنيوية وطموحاتهم السياسـية ، فأقاموا على طريق إسـتغلال الإسـلام إمبراطوريات ونظم حكم كان آخرها امارة ( طالبان)، والجمهوريـة الإيرانيـة ، وعلـى نفـس الطريق يحلـم الأخوان المسـلمون متظاهريـن بالإعتدال ويسـعى ابن لادن مسـتعملا أسلوب المواجهة الدموية الصريحة .

2 – موضوع الإنتماء هنا هو واسطة العقد ..

فلكـي يركبوا أكتاف أكثر من مليار مسـلم لابد أن يتحدثوا عن « أمة الإسـلام» وكل منهم كإبن لادن يكلم « أمتـه الإسـلامية» ويجعل الإنتماء لهذه الأمة الإسلامية يتخطى حدود الوطن والقوم واللغة والمستويات الحضارية والإقتصادية .

وهم بذلك يسـرقون الفكـرة الإسـلامية الأصيلة فـي الإنتماء، وقد قلنا أن إهتمام المسـلم الحقيقي لعقيدتـه وإيمانه بالله تعالى واليوم الآخر .

ولكن يظل الهدف هو الفارق الأساس بين الإسلام وأصحاب تلك الأديان الأرضية الطامحة للسلطة ... هل الهدف هو الهوى – هوى التسلط والطمع الدنيوي وإرادة الدنيا – أو هو مجرد الدعوة للحق بلا إكراه في الديـن والدعوة إلى حقوق النـاس والعدل والتجرد من أي مطمع سياسي أو أجر دنيوي .

3 – هنا يتجلى الفارق ...

المؤمن الحق لا يطلب أجرا ولا جاها ، وهو يتحمل الأذى ويصبر، ثم يهاجر ويحترم حق كل إنسـان في عقيدتـه ، أي يقول الحق ثـم يعرض عن الجاهليـن منتظرا حكـم الله تعالـى على الجميع يوم القيامة ، وقد تكـرر هذا كثيرا في القـرآن الكريم أمرا للنبي محمد عليه السلام.

وهو في مكة : أمره الله جل وعـلا أن يقول الحق بوضوح مرة واحدة وبقـوة ويلا مواراة مع الاعراض عن المشـركين : ( فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (الحجر 94 ) (خُـذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)(الأعراف 199)

والاعراض عنهم ارتبط أيضا بالآتي :

* بالأمر له بإتباع القرآن الكريم وبتأكيد أنه ليس مسـئولا عن اختياره العقيدي : ( اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) ولَوْ شَاءَ اللّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ)(الأنعام : 106 : 107).

* وبالتأكيد على أن ينتظر معهم حكم الله تعالى على الجميع يوم القيامة ( فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ) ( السجدة 30 )

* وبتقرير المسـاواة بينـه وبينهم ، فأحد الفريقيـن على هدى أو ضلال ، وليس أحد الفريقين مسـئولا عن عمـل الآخر ، وفي النهاية فالمرجع الى الله تعالى ليحكم بينهم يـوم القيامة : (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ قل لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ) ( سبأ 24- 26 )

* وبالتأكيد على أنهم قد اختاروا الدنيا ومن أجلها كذبوا بالقرآن الكريم: ( فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ) (النجم29).

* والاعـراض عنهم مرتبط بحقهم في الاسـتمرار على ما كانوا عليه ( قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ) ( الأنعام 135 ) ، ( قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ)(الزمر 39 : 41).

* وتأكـد نفس الموقـف تعليقا على قصص الأنبياء السـابقين في التسـليم بحريتهـم فـي الاختيـار ومسـئوليتهم عن هذا الاختيـار ،وأن لهم أن يسـتمروا في عقائدهـم ، وأن له أيضا أن يتمسـك بدينـه ، وأن ينتظر الفريقان الى يـوم الفصل يوم القيامة ، فالنبي شعيب قال لقومه (وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ) (هود 93 ) وفي نهاية السـورة وتعليقا على قصص الأنبيـاء فيها قال تعالى لنبي محمد عليه السـلام : ( وَكُلاً نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) ثُمَّ أمـره أن يؤكد للكفار أن لهم مثله الحق فى التمسك بما يريدون من عقائد ،وعليهم مثله الانتظار الى يوم الفصل : ( وَقُل لِّلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ) (هود 120 : 122)

* والتبـرؤ من دينهم وعملهم يعني تخلصه أيضا في الدنيا من دينه ومن عمله :(وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ)( يونس 41 ) .

* وعندما أصبح النبي محمد قائدا لدولة اسلامية جاءته نفس الأوامر بالاعراض عن مكائد المنافقـين : (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً ) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ واللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً ) ( النساء 81-63).

* كل ذلـك تفصيـل وتأكيـد وتفعيـل للقاعـدة الكليـة في الاسلام :( لا إكراه في الدين ) ، ويتناقض هذا مع شريعة الجهاد السـلفي ( بشقيه السـني والشـيعي ) ، حيث الإكراه في الدين وملاحقة المخالف فـي المذهب بالإضطهـاد ، والمعترض عليهم بحد الـردة ، وتقسـيم العالم إلى معسـكري الإيمـان والكفر، وإحتـراف القتل العشـوائي للمدنيـين حتى لـو أدى إلى قتل المسـلمين بموجب فتـاوى فقهية سـلفية تجيز قتـل ( المتترس بهم من قبل الكفار) ، بـل تشـريع قتلهم فـي سـبيل الهدف الأسـمى وهو إقامة الدولة الإسـلامية المزعومـة ، بل والأفظع ان بعض الفقهاء الأسـلاف ــ على خلاف تلك الدولة الإسـلامية المزعومة ـــ أباحوا للحاكم حق قتل ثلـث الرعية لإصلاح حال الثلثيْن ،ويجعلونـه مالكا للرعية والأرض ومن عليها ، وهي نفس الشـريعة التي طبقها الأمويون في خلافتهم ، وطبقتها وقامت بتنظيرها وتشـريعها الدولـة العباسـية وخلفاؤهـا وفقهاؤها ، وتابعهم المماليـك ثـم العثمانيـون وآخـذ بيت حميـد الدين اليمنيون ، وصـولا الى ملالي وجلاوزة ( إمارة طالبان ) الأفغانيين، ويحلم بنفس السـلطة الأخوان المسـلمون (المعتدلون )وأخوان ابن لادن المتطرفون .

وأخيرا

الإسـلام هو السـلام مع الناس في التعامل مع الناس ، وكل إنسان مسالم هو مسـلم بغض النظر عن عقيدته ، والإسلام في التعامل مع الله تعالى هو الإستسـلام والطاعة لله تعالى ، وليس لأحد أن يتدخل فـي عقائد الآخرين بالمنع والاكراه . ومن حق كل إنسان مسـالم أن يهاجر بدينه وعقيدته وأن يمارسها كيفما شاء طالما لا يرغم أحدا في دينه .

والدولـة الإسـلامية الحقيقيـة هي التـي تضمن حريـة الدين والمعتقد والفكر والشـعائر ويقوم فيها الناس بالعدل والإحسـان ، ويقيمون فيها العدل السياسي أي الديمقراطية .

فليـس مـن وظيفـة الدولة الإسـلامية إدخـال النـاس الجنة وهدايتهم إلى الحق ، لأن تلك مسـئولية فردية . فمن اهتدى فقد اهتدى لنفسـه ومن ضل فعليها ، ولكن وظيفة الدولة الإسـلامية هي خدمة الفرد فيها وضمان حقوقه وحفظ كرامته .

وبذلك المفهوم لا توجد دولة إسـلامية في بلاد المسـلمين ، بل دول إسـتبدادية تحت شـعارات القومية أو الوطنية أو الشعارات الدينية ، وكلها شعارات لخداع الشعوب .

تؤجد الدولة الإسلامية في الغرب ، أوربا وأمريكا وكندا وإليابان ، حيـث الديمقراطيـة والعدل وحقوق الإنسـان ، ولهـذا يهاجر المسـلمون والعرب إلى الغـرب تباعا فرارا بدينهـم أو إلى طلب العيـش والحياة الحرة الكريمة ، ولا تجد أوربيـا أو أمريكيا يهاجر لبلد عربي فرارا بدينه .

أي أن الإنتمـاء الحقيقي للإنسـان هو حبث يجد حريتـه وكرامته وحقوقـه، وبهذا يتطابق الإنتماء في الإسـلام مـع الإنتماء الحق لدى الإنسـان ، بما هما للحرية والعـدل ، فأين ضاع العدل وصودرت الحريـة في الوطن ، فأرض الله واسـعة للهجرة حيث المساواة والعدل والحرية وتكافؤ الفرص.

□ الأخ الزهري ورئيس المركز العالمي للقرآن الكريم

إعلان
عزيزي المدخن:
الحياة حلوة فلا تفسد بهجتها بدخان سيجارتك